

صفحة الدراسات في «البناء»، أنشئت لتكون مساحة للابحاث العلمية المتعلقة بشتى المواضيع ذات الصلة في قضايا الامة والعالم العربي. وهي إذ تتسع لمثل هذه الدراسات تبقى مجالاً مفتوحاً للحوار وطرح الإشكاليات الفكرية

## السامية بين المفهومين اللغوي والعرقى

## اللاسامية عصارة اللعنة اليهودية... سلاح ثقافي سامّ

## السامية بين المفهومين اللغوي والعرقى

في هذا العدد يتطرّق الكاتب وجدي المصري إلى موضوع اللاسامية من حيث أصبح سلاحاً سياسياً ثقافياً يهودياً، تستعمله اليهودية العالمية في وجه كل من يتجرّأ على معارضتها فيسلط الضوء على الاصل اللغوي للمصطلح، إضافة إلى أسسه العرقى والدور الذي رسمته له الصهيونية العالمية. إضافة إلى شهادات عدة لكبار الرؤساء والكتاب والمفكرين الأجانب الذين طالهم أدى هذا المصطلح بسبب معارضتهم «إسرائيل».

### وجدي المصري

كثيراً ما نسمع قادة العدو «الإسرائيلي» يتهمون، كلّ من يتنقذ سياستهم والاعتداءات «الإسرائيلية»، المكتزّة على أبناء شعبنا في فلسطين باللاسامية، ويتهمون بها أيضاً كل سياسي، غربياً كان أم شرقياً، وكل جماعة، أو حزب، أو منظمة محلية أو إقليمية أو دولية، حتى ولو كانت منمّلة الأمم المتحدة، فما هو مصدر كلمة سامي؟ وكيف أصبحت محصورة ببني «إسرائيل»؟ وعلى أي أساس يتم إطلاق تهمة اللاسامية يمتة ويسرة؟

لكي نخيب على هذه التساؤلات لا بدّ أن نعود إلى كتاب العهد القديم وتحديداً إلى سفر التكوين الذي اقتبس أسطورة الخلق عن الأساطير السومرية وخاصة أسطورة إينوما إيليش، حيث يذكر بأن الله خلق آدم ومن ثم حواء: «وجبل الربّ الإله آدم تراباً من الأرض» تكوين، الإصحاح الثاني، وهذا الكلام يتناقض مع ما جاء في سفر التكوين، الإصحاح الثاني في الصفة السابقة للكلام الوارد آنفاً، إذ نقراً: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبيهاً... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم انمروا واكثروا واملأوا الأرض..... فهو عندما يقول هنا «خلقهم» يعني أنه قد خلق عدداً يتجاوز الأثنين، وعندما يكمل قائلاً: «وباركهم... انمروا واكثروا واملأوا الأرض...» فهو يتوجه بالكلام إلى جمع من الناس بدليل قوله: «وقال لهم». والمسألة الثانية التي تلفت النظر هي ما أورده الكاتب عن أنّ الله قال: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبيهاً... فخلق الله الإنسان على صورته»، إذ علينا أن نشير بأنّ الله عندما قال هذا القول لم يكن هناك من إنسان بعد، فمن سمع هذا القول لينقله لنا بعد آلاف السنين؟ وعندما يقول الكاتب على لسان الله بأنه سيخلق الإنسان على صورته فهذا! أمّا يعني بأنّ الله له شكل، وبما أنه خلق الإنسان على شكلته فهذا يعني أنّ شكل الله يشبه شكل الإنسان، وبالتالي ألا يعتبر هذا الكلام تحديفاً بحق العزة الإلهية إذ لا يمكن لأحد أن يكون قد رأى الله، أو أن يكون له شكل. لأنّ الله هو إلا العقل الكلي الذي لا يفيض عنه سوى المحبة والخير والتسامح والعفوان. وهذا الكلام يؤكّد لنا الطابع الأسطوري لما ورد في هذا السفر وبالتالي يسقط عنه صفة القداسة والألوهية.

##### اكتشاف «العهد القديم»

وإذا امكننا رحلتنا مع كاتب العهد القديم لوجدناه يركّز على ولد ذكر واحد لاستمرار النسل بعد آدم، إلا في البداية حيث ولد لآدم قابيل وهابيل، وبسبب خلاف على القرايين قتل قابيل أخاه هابيل، ثم يعود ليقول بأن آدم عرف امراته أيضاً فوعدت له ابناً دعاه شِيثاً، «فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مئة وثلاثين سنة ومات»؛ فهل يعقل بعد هذا العمر المديد أن لا ينجب آدم غير ثلاثة أبناء؟ هل كانوا يعرفون في ذلك الوقت بوسائل منع الحمل؟ وإذا كان ذلك هو الوحيد الذي خلق وبعده حواء التي رزقت بداية بقابيل وهابيل، فمن أين استحصل قابيل على امراته التي حملت وولدت له حنون؟ ولحنون كم يذكر الكاتب سوى ذكر واحد وهو عيراد وهكذا دواليك وصولاً إلى لامك الذي اتخذ لنفسه امرأتين. ثم ينقل الكاتب إلى ذكر ذرية نوح مبعداً أيضاً ولداً ذكراً واحداً وصولاً إلى متوشالح الذي أطلق أبداً الذي ولده اسم لامك الذي أسمى ولده بدوره نوحاً، وهو الذي حدث الطوفان في أيامه حسب الأسطورة التوراتية، وحدث في أيام أسماء أخرى حسب الأسطورة السومرية والبابلية، وتقول عالمة الآثار ستيفاني دالي في الصفحة 24 من

كتابها (أساطير بلاد ما بين النهرين) بأنه «يرجح أيضاً أنّ اختصار (وتل) - نا ش (تي) كان يلفظ نوح في فلسطين منذ زمن بعيد». ونوح الذي تعتبره كل الأديان نبياً ولد لثلاثة ذكور: نوح وحام ويافت، «هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. من هؤلاء شبيتم كل الأرض» تكوين 9:19. فإذا كان كل أهل الأرض هم من ذرية نوح فهذا يعني أنّ الطوفان الذي أحدثه الله لم يبق نسله واحدة، أنكر كان أم أنثى، فمن تزوج أبناء نوح لكي يملأوا الأرض بنسلهم. لم يأنه الكاتب على ذكر أية أنثى إذ قال: «وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفك ساماً وحاماً ويافت، وحام هو أبو كنعان». تكوين 18:9. أمّا لماذا حدد فقط أنّ حام هو أبو كنعان ولم يذكر شيئاً عن أبناء الولدين الآخرين فالأنه، على طريقة الأدياء الذين يكونون في طور كتابة قصتهم قد وضعوا تصميماً لها، قد وضع في تصوّره دوراً لكل ولد من أبناء نوح، وحفظ لسام مكانة فريدة لأنه قرّر أن يربط أصول العبرانيين «الإسرائيليين» اليهود بذريته، وقرّر أن يكون حام أباً لكنعان الذي يعتبر صاحب أرض كنعان الذي قرّر الكاتب أن يصدر على لسان الله فرماناً يلغي فيه كنعان ويبارك ساماً وصولاً إلى الوعد الذي أعطاه لإبراهيم، وجدده لاسحق ويعقوب والقاضي بطرد كل الشعوب التي كانت تقطن في أرض كنعان وإعطاء هذه الأرض لذرية إبراهيم أي إلى «الإسرائيليين». أمّا إذا قال قائل بأنه لم تكن للمرأة قبعة في تلك الأيام لذلك تم تجاهلها وعدم ذكرها، نقول: ولماذا ذكرت حواء. ولماذا بعدها ذكرت زوجة قايين ولماذا ذكر الكاتب امرأتي لامك بالإسم: «اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلّة» تكوين 19:4؛ وما هذا برأيي إلا لأن الكاتب وقع بأخطاء كثيرة، مبالغات وتناقضات من شأنها أن تنفي كليّة أن تكون لله علاقة بما ورد في هذه الأسفار، بل هي كما تؤكّد معظم الدراسات الحديثة بأنها أساطير تأثر بها أول وأهم كتاية التوراة عزرا الكاتب خلال وجوده في بابل في القرن الخامس قبل الميلاد فسجح على منوالها مغيّراً الأسماء وبعض التفاصيل لينسب لنفسه الإبداع ولكي تتطلق أكبر مؤامرة ضدّ الإنسانية والحضارة البشرية والتي استطاعت أن تفرّض كتاب العهد القديم على أنه كتاب الحضارة الخالد وهو الرحم الذي نمت فيه بقية الديانات.

وبالعودة إلى نوح يقول الكاتب بأنه عاش تسعمئة وخمسين سنة، فهل يعقل أيضاً أن لا يلد إلا هؤلاء الذكور الثلاثة، وإذا ما سلمنا جدلاً ما مع أورده الكاتب نجد أنه وفي الإصحاح العاشر قد ذكر ذرية كل من سام وحام ويافت، وإذا ما جاريناه أيضاً بأنّ الله قد أنزل اللعنة على كنعان ابن حام لذنب لم يقترفه، فهذا يعني أنّ أهل الأرض الذين انحدروا من سام وحام ويافت هم الذين حملوا صفة الساميين نسبة لسام، والحاميين لحام، واليافيين نسبة ليافت، وهم بالتالي أولاد عومّة، فلماذا هذا التركيز على ذرية سام فقط؟ وياتيك الجواب عندما تقرّ في الإصحاح العاشر ما يلي: «واسم أبو كل بني عابر أخو يافت الكبير ولد له أيضاً بنون. بنو سام عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام».

فاعثر الدارسون الصهاينة بأن بني عابر أبناء سام هم أصل العبرانيين، لكي يجدوا لهم صلة بسام. أمّا الحقيقة فهي أنّ الدارسين الموضوعيين لم يستطيعوا حتى الآن

## البناء

والسياسية وغيرها، تنشيطاً لدور الثقافة في الصيرورة الاجتماعية. علماً أن الآراء التي ترد على مساحة الصفحة تعبر عن أصحابها وليست بالضرورة مطابقة لقناعات الصحيفة.
إلا أنه انطلاقاً من القناعة الراسخة بضرورة خلق حوار فكري حول القضايا والإشكاليات كافة وما

## دراسات 13

أكثرها، والتي تفرّض نفسها على صاحب القرار والمتقف وقادة الرأي والمواطن في أي موقع كان، كانت صفحة الدراسات في «البناء» هي الترجمة العملية لهذه القناعة آملين أنّ تشكل هذه الصفحة مساحة فكرية .سياسية تعنى بيهوم الوطن والمواطن، تدرس الحاضر لترسم المستقبل.

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

## البناء

تباروا وتفاخروا». أمّا من حيث المصطلح فيقول: «ينقسم معنى كلمة سامية إلى لغات وشعوب. «اللغات السامية للهجات التي يتكلم بها سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأزمن شمالاً إلى البحر العربي جنوباً، ومن الخليج شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً، وهي منسوبة إلى سام بن نوح. والشعوب السامية هي التي تتكلم بهذه اللهجات. فالكاتب هنا يربط لفظة السامية باللغات، فما علاقة اليهود بها إذن؟ هل لغتهم لغة سامية؟ يقول جودت السعد في الصفحة 13 من كتابه (وهام التاريخ العربي): «اللغة العبرية لغة حديثة نسبياً، لم يبدأ الحديث والكتابة بها قبل القرن الثاني قبل الميلاد، وقد بذى بتطويرها من القرن الرابع ق.م. ولم تصح لغة كاملة إلا بعد القرن السادس الميلادي». حتى أنّ التوراة لم تكتب بداية باللغة العبرية لأنها كانت لهجة محليّة محدودة بل كتبت باللغة الآرامية المنتشرة في سورية الطبيعية في ذلك الوقت. ويقول ربيع داغر في الوثيقة رقم 11 من الصفحة 25 في كتابه «إسرائيل» والصراع المستمر): «علماً بأنه في عام 1905 كانت نسبة اليهود الذين يتكلمون اللغة العبرية حوالي 2% من يهود العالم». فما علاقة السامية التي تعود أسطورياً إلى آلاف السنين بهذه اللغة الحديثة؟ يقول لوسيان كافرو دوسارس في الحاشية رقم 318 من الصفحة 318 في كتابه (العار الصهيوني): «اللغة العبرية اليبينية، التي ظهرت بعد التوراة التي أهملها الشعب الذي كان يتكلم الآرامية واليونانية واللاتينية، أعادها الانتداب الإنكليزي إلى التداول عام 1920 في فلسطين». إذن كان وراء ذلك أهداف سياسية لم تعد بخافية على أحد. إنّ الاضطهاد الذي لحق باليهود في أوروبا جعلهم يفتشون عن مخرج حله يخفف عنهم حدة هذا الاضطهاد الذي ساقوه لأنفسهم نتيجة انغلاقهم ورفضهم الاندماج بالمجتمعات التي حلّو فيها، ونتيجة أفكارهم الدينية التي لم يستطع المسيحيون في تلك الأيام تقبلها، ونتيجة سناوسهم وتغييرهم للثورات وقيامهم بالمذابح، فردّت لهم تلك المجتمعات الصاع صاعين. ولقد وجدوا بعد حين المخرج انطلاقاً من لجونهم إلى كتابهم الديني الذي اقتنعوا أصحاب الإيمان البريء بأن ما جاء فيه هو كلام الله



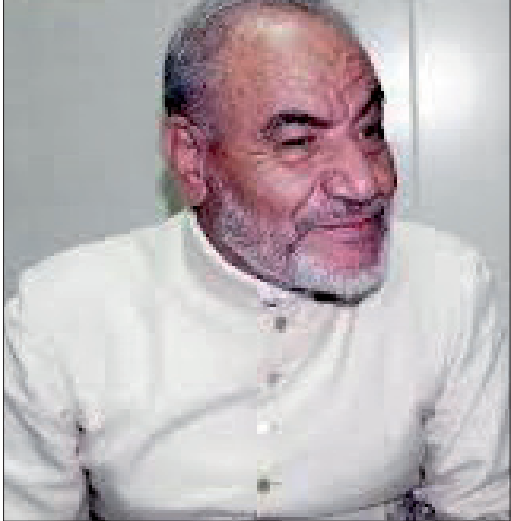
هولباخ



دالي



فينكلي



قاشا



هاليفي



هرتزل

<sup>[1]</sup>
<sup>[2]</sup>